البيئة في كتاب
(يتيمة الدّهر ومحاسن أهل العصر للثعالبي-ت ٤٢٩ه/١٠٣٧م-)

د. وليد جاسم عباس الزبيدي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم ((ما نُنسخُ من آيةٍ أو نُنسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلِها ألمْ تعلمْ أنّ اللهَ على كلّ شيء قديرٌ.)) صدق الله العظيم.—سورة البقرة: ١٠٦.

الحمدُ لله في الأول والآخر، نقفُ على بحثٍ في كتابٍ يُعدّ من كتب العرب الأولى، فلا يخلو كتابُ أدب أو نقد أو لغة أو تاريخ دون أن يضعه ضمن مصادره، ذلك هو كتاب (يتيمة الدّهر ومحاسن أهل العصر) لمصنّفه ورائعة زمانه أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م) الأديب والمؤرخ واللغوي، ولقد كانت العلّةُ في اختيار عنوان البحث، لأنّ موضوعة البيئة أصبحت الشغل الشاغل لشعوب العالم أجمع، وللمتغيرات الخطيرة التي نتعرّضُ لها من ظاهرة ثقب الأوزون الى الإحتباس الحراري والتصحر والجفاف وحروب المياه، ...الخ. وأرى على العرب والمسلمين تقعُ المسؤولية الكبرى في موضوعة البيئة وسلامتها، لأنّ الإسلام أوّل رسالة أوصت بالاهتمام بالنظافة والطهارة، وللمسلمين تراثهم العتيد في دراسة البيئة ووضع نظرياتهم وبرامجهم وتوصياتهم، ومن هؤلاء: الأصمعي (ت ٢١٦ه) في كتابه(الخيل والأبل)، والجاحظ(ت٢٥٥ه) في كتابه الحيوان، والمجريطي(ت٤٠١ه) في كتابه (في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية)، كما جاءت كتب كثيرة وهي ذيول لكتاب اليتيمة، كما ذكرها (د. محمود عبد الله الجادر، الثعالبي ناقداً وأديباً)١، منها: تتمة اليتيمة-للثعالبي، دمية القصر —الباخرزي(ت٤٦٧ه)، خريدة القصر-عماد الدين الأصبهاني(ت٥٩٧ه)، الذخيرة-ابن بسام(ت ٥٥٦٢)٢.

تُعدّ اليتيمةُ كتاباً ثميناً في ذكر أدباء القرن الرابع الهجري وما اتّصلَ به، وأكّدَ الحموي قيمة الكتاب ونقلَ منها تراجمَ عديدةً كما فعل ابن خلكان والسبكي ٣.فضلاً عن المؤرخين القدماء، ذكرهُ المحدثين ومنهم، د.زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. مصطفى الشكعة، د. عمر الدقاق، د. طه حسين، د. أمجد الطرابلسي.. وغيرهم.

أرجو أن يوفقني الله ليكونَ البحثُ لبنةً أخرى لبناء بيئة نظيفة، ليعيش العالمُ في أمنٍ وسلام، وأن يظلّ الإنسانُ صديقاً للبيئة، والله ولي التوفيق.

١-الأقاليم وتقاسيمها:

للأقاليم تقسيمات في مصنّفات المؤرخين العرب، مقارنةً بتقسيمات الثعالبي في كتابه- اليتيمة-، فالأقاليم وجغرافية الدولة الاسلامية متغيرة في كل عصر، فتأخذ امتدادها بقوة الخلافة وهيبة السلطان، وضعفها من مؤسسات هذه الدولة ورأسها، لذلك نجد حدود الدولة بين المدّ والجزر. فالأقليم في لسان العرب: (.. وأحسبهُ عربياً، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم، كل اقليم معلوم، كأنه سمّي إقليماً لأنهُ مقلوم من الأقاليم الذي يتاخمهُ أي مقطوع) ٤. ومن مصنّفات الأقاليم كتاب المقدسي (ت ٣٩٠ه) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم٥، كتاب أبي يعلى الحنبلي(ت ٤٥٨ه) الأحكام السلطانية ٦، الأبشيهي (ت ٨٥٠ه) في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف ٧،والمجلسي(ت ١١١١ه)في كتابه البحار ٨، فلقد كانت هذه المصنّفات كتابات وصفية تنقل واقع الأرض والتضاريس ودرجات الحرارة والنباتات والفواكه، والأبراج والأفلاك، تصلح أن تكونَ دليلاً للمسافرين والتجّار، بل للسلاطين والأمراء الذين يريدون معرفة أخبار وأحوال الأمم البعيدة والقريبة، وأن ينتفعَ فيها الفقهاء ليطلعوا على أديان ومذاهب تلك الأمم وثقافاتهم. أمّا

ما ينمازُ بهِ كتاب الثعالبي عن سواه، فقد جاء في عصرٍ تشرذم الدولة الإسلامية وتحوّلها الى دويلات وأقاليم وأمصار، عصر ضعف وانهيار، فأرادَ في كتابه أن يحقّقَ الحلم العربي في وحدة هذه الأقاليم فقسّم الأقاليم حسب قرب كل أقليم من خطط العرب والمسلمين الأولى في الجزيرة العربية، ومدى بعدها وقربها من بلاد العجم، ومن تقسيماته البيئية فقد قسّمَ تراجمَ شعرائه واشعارهم حسب البيئة التي نشئوا فيها واشتهروا بها، فلم يجعلهم ضمن الأقاليم التي وُلدوا فيها. وهكذا فقد سجّل الثعالبي سبقاً في التقسيمات وتفرّدَ على المتقدمين والمتأخرين في المنهج، فلم يصنف كتابه وفق الطبقات، أو الدول، أو العصور..وهكذا.

-البيئة في أشعار كتاب (يتيمة الدّهر) :

نؤشرُ هنا الأبيات التي هي موضع البحث ومنها ننطلقُ في أهمية البيئة، ومدى تأثيرها على المجتمع، وما أنفقهُ الشعراءُ في الوصف والتصوير في كتاب اليتيمة بأجزائه الأربعة، وما انعكست في هذا الأثر من جمال أو قبح، ومن تقلبات للظواهر والمظاهر الطبيعية، تختلف بين العمران والبادية، بين الصحارى والقرى. وقد ورد تعريف البيئة في المعاجم العربية، فقد عرّفها ابن منظور في لسان العرب ٩، والجوهري في مختار الصحاح ١٠، والفيروزآبادي في القاموس المحيط ١١، والزّبيدي في تاج العروس ١٢.

تبوأتُ منزلاً: أي نزلتُهُ، وبوّأتُ للرجُل منزلاً وبوّأتُهُ منزلاً، بمعنى: أي هيّأتُهُ ومكنتُ لهُ فيه. واستباءة: أي اتخذهُ مباءة. وهي بيئة سوء، مثال: بيعة، أي بحالة سوء، وأنهُ لحسن البيئة. وقولهُ تعالى: ((والذين تبوءوا الدارَ والإيمان))، جعلَ الإيمان محلاً لهم على المثل وقد يكون أرادَ: وتبوؤا مكانَ الإيمان وبلد الإيمان.

واصطلاحاً: علم البيئة، هو العلم الذي يدرسُ شروط أو ظروف وجود الكائنات الحية والعلاقات المتبادلة فيما بينها من جهة، وعلاقتها بالوسط الذي تعيشُ فيه من جهة أخرى.

وهكذا قسّمنا البحث على قسمين:

أولاً: البيئة الصامتة:

ونحنُ نقرأ أشعار محاسن أهل الدّهر في اليتيمة، نتنفسُ البيئة بكل معانيها ومسمياتها، فهي مبثوثة في الشعر والنثر، والبيئة الصامتةُ التي نؤشرُها هنا تتحركُ وتنطقُ وتُفصحُ عن أثرها، ومن صورِ هذهِ البيئة:

آ/ الكواكب:

عرفها قدماءُ العرب والمسلمين، بل أسسوا بعضَ علومهم فيها، ومنها علم الفلك، وكانوا يتخذونها دليلاً في سيرهم ليلاً في البر والبحر، كما عرفوا أسماءها ومنازل القمر، وأرّخوا تواريخهم وأشهرهم وأيامهم بها، وذكروا الظواهر الطبيعية التي تحدثُ للشمس والقمر، الكسوف والخسوف، ..

١ ٢٩٦ه)-من الكامل- في القمر١٣:

فانظرْ اليه كزورقٍ من فضة
قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ

٢- قول أبي عاصم البصري، -من الخفيف- ١٤:

قارنَ الزهرةَ الهلالُ وكانا
في افتراقٍ بينَ صدّ وهجره

٣- قول القاضي التنوخي(ت٣١٨ه) -من السريع- ١٥:

كأنما المريخُ والمشتري
قدّامهُ في شامخ الرّفعهْ
منصرفٌ بالليلِ عن دعوةٍ
قد أسرجوا قُدّامهُ شمعهْ

ب/ المياه:

للماء أشكالٌ وهيئات تتنوّعُ مع البيئة، فمنهُ البحار والأنهار، التي وضعها الله-سبحانه- وجعلَ مساراتها ومنابعها ومصباتها، منذ بدء الخليقة، وتكوّنت على تلك الأنهار أولى الحضارات، ومن أشكال المياه الأخرى الأحواض والبرك والنافورات، بل تشكّلَ الماءُ بحالاته فكان الثلج، والفقاعة، والبخار، والضباب. ووردتْ أشكال المياه في أشعار شعراء اليتيمة:

١- قول أبي فراس الحمداني(ت ٣٥٧ه)، في وصف بُركة ماء -من الكامل- ١٦:

أنظرْ الى زهرِ الربيعِ
والماءُ في بُركِ البديعِ

٢- أبو الحسن السلامي(ت ٣٩٣ه)، يصفُ فقاعة، -من الوافر- ١٧:

شُغفتُ بدايةً لي اشتهيها
وما فيها عن الوصلِ امتناعُ
ببارِدةِ المجسّ وما آقشعّرتْ
معصّبةً وليسَ بها صُداعُ

٣- الصاحب بن عبّاد(ت ٣٨٥ه)، في الثلج، -من الخفيف- ١٨:

أقبلَ الثلجُ فانبسطْ للسرورِ
ولشربِ الكبيرِ بعد الصغيرِ

ج/ الأنواء:

تزخرُ البيئةُ بألوان ومتغيرات المناخ، والأحوال الجوية، فتزخرفُ وتزيّن الحياة بصور الغمام والمُزن، والمطر، وقوس قزح، والريح والبرق، والرعد والزلازل والبراكين، فتحدّد تلك الأنواء طبيعة الأقاليم والمجتمع ونشاطه.

١- أبو بكر الخوارزمي(ت ٣٨٣ه)، وصف الغمام، -من الكامل-١٩ :

أ غمامُ ما يدريكَ ما أفعالُنا
والخيلُ تحتَ النّقعِ كالأشباحِ

٢- أبو العباس النامي(ت٣٩٩ه)، وصف المُزن والسحاب، -من الطويل- ٢٠:

خليليّ هل للمُزنِ مُقلةُ عاشقِ
أم النارُ في أحشائها وهي لا تدري
سحابٌ حكتْ ثكلى أصيبتْ بواحدٍ
فعاجتْ لهُ نحو الرياضِ على قبرِ

٣- أبو القاسم الزاهي(ت ٣٥٢ه)، في الريح والبرق، -من البسيط- ٢١:

الريحُ تعصفُ والأغصانُ تعتنقُ
والمُزنُ باكيةٌ والزهرُ معتبقُ
كأنما الليلُ جفنٌ والبروقُ لهُ
عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبقُ

٤- الوأواء الدمشقي(ت ٣٨٥ه)، في قوس قزح، -من البسيط- ٢٢:

سقياً ليوم ترى قوسَ السماء به
والشمسُ مسفرةٌ والبرقُ خلاّسُ
كأنها قوسُ رام والبروقُ لهُ
رشقُ السّهامِ وعينُ الشمسِ برجاسُ

د/ الجسر:

شكلٌ من أشكال البيئة الصامتة، وقد اكتسبت الجسور تصاميم هندسية وحضارية، تساعدُ الناس في العبور للضفاف الأخرى، وتُعدّ حمايةً للبيئة والحاضرة وحماية للأنهار والجداول:

١-أبو فراس الحمداني، -من الرجز- ٢٣:

كأنما الماءُ عليه الجسرُ
درجُ بياضٍ خُطّ فيهِ سطرُ
كأننا لمّا تهيّأ العبرْ
أسرةُ موسى حينَ شُقّ البحرْ

ه/ كانون النار:

صورة من صور الترف الحضاري، وماتمثلهُ من حالة جديدة لكسب الدفء، وحيث أصبح جزء من أركان البيت ليوفر مكان لإجتماع العائلة واستخدامه في نشاطات متنوعة:

١-السّري الرّفاء (ت٣٦٦ه)، -من المتقارب- ٢٤:

وذو أربعٍ لا يطيقُ النهوضَ
ولا يألفُ السّيرَ فيمن سرى
تحملهُ سبجاً أسوداً
فيجعلهُ ذهباً أحمرا

٢-أبو بكر الخالدي(ت ٣٨٠ه) ٢٥:

ومقعدٍ لا حراكَ ينهضُهُ
وهو على أربعٍ قد انتصبا
مصفرُ محرقُ تنفسّه
تخالهُ العينُ عاشقاً وصبا
إذا نظما في جيدهِ سبجاً
صيرهُ بعدَ ساعةٍ ذهبا

و/ المدخنة:

تصاميم صحية، في البيوت وبعض المحال الغرض منها تسريب وإخراج الهواء الفاسد والدخان الناجم عن وسائل التدفئة وأدوات ووسائل الطبخ. إنّ هذا التصميم الهندسي البيئي يهدفُ الى حماية صحة الإنسان بل وحتى الحيوان.

١-أبو اسحاق الصّابي(ت ٣٨٤ه)، -من الطويل- ٢٦:

ومكروبةِ الأحشاءِ يعلو زفيرُها
وتعصفُ ريحُ الطّيبِ بينَ فروجها
إذا روّحتْ عن نفسها بخروجها
للنفسِ مني راحةٌ في ولوجها

٢- أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي، -من الطويل- ٢٧:

ومنحوتةٍ من جنس قلبك قسوةً
برزتْ بها في مثلِ قدّك ليّنا
حوتْ جمرةً من لون خدّك حمرةً
وفي حرّ أحشائي هوىً وحنينا
يذكرني ما فاحَ من عُرف ندّها
شهوراً مضتْ في وصلنا وسنينا

ز/ الناعور:

صورة من أساليب الرّي المتطورة، والمبتغى منها ايصال مياه السقي الى المساحات الزراعية، وتستخدمُ أيضاً لأغراض أرواء الإنسان والحيوان.

١-سليمان بن حسّان النصيبي، -من المنسرح- ٢٨:

كمْ نعرتْ بالحي ناعورةٌ
حنينُها كالبربطِ الناعرِ
فتارةً نحسبها قينةً
تُردّدُ الزّمرَ على الزامرِ
وتارةً ثكلي جرى دمعها
في مستهّلٍ واكفٍ ماطرِ
كأنما كيزانُها أنجمٌ
دائرةٌ في فلكٍ دائرِ

ح/ المنارة: اهتمّ

الإنسانُ بهندسة وعمارة المنارة للمساجد، على مرّ العصور، ولكل عصر شكلٌ هندسي يميزّهُ عمّا سبقه، من حيث النقوش والزخرفة وكذلك طول

المنارة، ونوع الطابوق والآجر المستخدم. ومن آثارها الباقية عدد كبير من مآذن الجوامع، والأضرحة، والتكايا، ودور العبادة الإسلامية والمسيحية واليهودية وباقي الأديان والطوائف في البلاد الاسلامية.

١-أبو العباس النامي، -من الرجز- ٢٩:

ساميةٌ في الجوّ مثلَ الفرقدِ
قاعدةٌ فيه وإن لم تقعدِ
يكادُ عاليها-وإن لم يبعدِ-
يغرفُ من حوضِ الغمامِ باليدِ

ط/ القلم:

للقلم دورٌ كبير منذ بدء الخليقة، وله المكانة الكبيرة في الكتب المقدسة، وفي ألوان المعارف المختلفة، وما ساهمَ في نقل صور وحياة وأفكار وقد إتّخذَ صوراً متنوعة منذ استخدام الريشة ثم تطوّر في استخدام المداد وألوان الأحبار بل ونوعية الأخشاب، ونوعية الخطوط ورسم الحروف.

١-السّري الرّفاء، -من الكامل- ٣٠:

وفتىً إذا هزّ اليراعَ حسبتهُ
لمضاء عزمته يهزّ مناصلا
من كلّ ضاف البرد ينطقُ راكباً
بلسانِ حامله ويصمتُ راجلا

٢- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم التاجر٣١ :

ناطقٌ ساكتٌ أصمّ سميعٌ
قلقٌ ساكنٌ وقوفٌ ماضي
ناحلُ الجسم نابه الأسم منقى
الوسم في كلّ عاند ذي اعتراضِ

٣-أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري ٣٢:

أعجبْ به يجري على يافوخه
رهواً وتجري تحتهُ الأقدارُ

ي/ الشطرنج:

وهي من الملاهي، وهي لعبةُ الملوك والأمراء والخاصّة.

١-السّري الرّفاء، - من الكامل- ٣٣:

يُبدي لعينكَ كلّما عاينتهُ
قرنين جالا مقدماً ومخاتلا
فكأنّ ذا صاحٍ يسيرُ مقوماً
وكأنّ ذا نشوان يخطرُ مائلا

ك/ المخدّة :

١-أبو بكر الخالدي (الخالديان)، - من الكامل- ٣٤:

بأبي التي كتمتْ محاسنها
خوفَ العيون وليسَ تنكتمُ
لبستْ سواداً كي تُعابَ به
والبدرُ ليسَ يشينهُ الظُلَمُ

ل/ القدر :

١-السّري الرّفاء، -من المخلع البسيط- ٣٥:

سوداءُ لم تنتسبْ لحام
ولَمْ ترمْ ساحةَ الكرام
كأنما تحتها ثلاثٌ
مقترناتٌ من الحمام
يلعبُ في جسمها لهيبٌ
لعبَ سنا البرقِ في الظلام
وهي وإن لم تذُقْ طعاماً
مملوءةُ الجسمِ من الطعام

م/ المروحة :

١-السري الرّفاء، -من الطويل- ٣٦:

ومبثوثةٍ في كلّ شرقٍ ومغربِ
لها أمّهاتٌ بالعراقِ قواطنُ
يحرّكُ أنفاسَ الرّياحِ حراكُها
كأنّ نسيمَ الرّيحِ فيهنّ كامنُ

ن/ الكرسي :

١-أبو طالب المأموني (ت ٥٣٨٣)، - من المجتث- ٣٧:

يُزهي بصدرٍ فسيحٍ
رحبٍ وبأسٍ شديدِ
لهُ رواقُ أديمٍ
على سواري حديدِ
إذا جلستُ عليهِ
خلتُ الأنامَ عبيدي

٢-نفسه، -من المتقارب- :

ومستوقفٍ لجلوسِ الحضورِ
على أربعٍ في الثرى موثقهْ
يمدّ على فرعه مفرشاً
ويظهرُ في خصرهِ منطقهْ

س/ السفينة :

١-أبو الحسن بن الوزير الحافظ، -من الكامل- ٣٨:

قد قلتُ إذ سارَ السفينُ بهم
والسوقُ ينهبُ مهجتي نهبا
لو أنّ لي عزاً أصولُ به
لأخذتُ كلّ سفينةٍ غصبا

٢-يحيى بن الفضل، -من الطويل- ٣٩:

وسفنٌ تثيرُ الريحُ منها عجاجةً
تُظلّ مياهُ الأرضِ وهي صعيدُها
تلوحُ كأمثالِ الشواهينِ حلّقتْ
على دُهمٍ خيلٍ قد أثيرت صيودُها

ع/ الشمعة :

١-محمد بن هارون بن الأكتمي، -من مجزوء الرجز- ٤٠:

باكيةٌ ضاحكةٌ
خدّامها جُلاّسها
مظهرةٌ أنوارها
إنْ جَزّ منها رأسها

كأنها عاشقةٌ

تُذيبُها أنفاسُها

٢-سليمان بن حسان النصيبي، -من المتقارب- ٤١:

ومجدولةٍ مثل صدرِ القناة

تعرّتْ وباطنها مكتسي

لها مقلةٌ هي روحٌ لها

وتاجٌ على الرأس كالبُرنس

إذا رنقتْ لنعاس عرا

وقُطّتْ من الرأسِ لم تنعس

وتنتجُ في وقتِ تلقيحُها

ضياءً يجلّي دُجا الحندس

٣-أبو اسحاق الصّابي، -من البسيط- ٤٢:

غصنٌ من الذهبِ الأبريز أثمر في

أعلاهُ ياقوتةً صفراءَ تستعرُ

نأتيكَ ليلاً كما يأتي المريبُ، فإن

لاحَ الصباحُ طواها دونكَ الحذرُ

ثانياً: البيئة الحية:

وتشملُ كلّ كائن حيمن الحيوان والنبات في البر والبحر، فقد رافق البيئة والانسان منذ الأزل تلك المخلوقات التي سخّرها الله-سبحانه- لخدمة وديمومة الحياة والتوازن في الأرض والكواكب، بل ويذكّرنا ويعظنا القرآن الكريم في قصص الأنبياء والرسل عليهم وعلى نبينا الأكرم أفضل الصلاة والتسليم، وارتباط بعض الحيوانات والطيور والحشرات بقصصهم ومعجزاتهم، فقد كان الغراب حاضراً في قصة هابيل وقابيل، والتفاحة التي ارتبطت بآدم وحواء، وتقطيع الطيور ووضعهن على رؤوس الجبال عند سيدنا ابراهيم، والهدهد والنمل في قصة سيدنا سليمان، والحوت مع سيدنا يونس، والبقرة مع بني اسرائيل في قصة سيدنا موسى، وقصة ناقة سيدنا صالح، الى ان نصل قصة الحمامة والعنكبوت مع نبينا الأكرم محمد (ص)، وكيفَ حرّمَ المشرّع منذ القدم الصيد في مواسم تكاثره، وتحريم الصيد أو قتل أي كائن أثناء أداء مراسيم حج بيت الله. لقد خلقَ الله -سبحانه- هذا الكون بشكل متوازن، فوازنَ البيئة بما فيها من مخلوقات وكائنات، ترى بالعين المجردة أو لا ترى، كما وضع سبحانه لبعض هذه الكائنات مواسم للهجرة والتنقل، والعلاقة الوثيقة بين النبات والحيوان، في حفظ النوع، والتحكم في الحشرات والأمراض والمفترسات.. الخ.

آ/ الحيوان: ١- الغزال:

-أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، - من الكامل- ٤٣:

يأبى غزالٌ صدّ بعد وصاله

وزها عليّ بحسنه وجماله

٢- الذئب: -الوزير ابن شُهيد، - من الطويل- ٤٤:

أزلّ كسا جثمانه مستتراً

طيالس سودُ كالدجى وهو أطلسُ

٣-الجدي: -صالح بن مؤنس، -من الرجز- ٤٥:

جُدْ لي بجديّ نعتهُ من اسمها

لم يلجِ التنورَ مثلَ جسمه

٤-الفرس: -ابن نباتة السّعدي(ت ٤٠٥ه)،-من الوافر- ٤٦:

وأدهم يستمدُ الليلُ منهُ

وتطلعُ بين عينيه الثريا

ب/ الطيور:

١- الببغاء: -أبو الفرج الببغاء،-من الرجز- ٤٧:

أنعتُها صبيحةً مليحة

ناطقةً باللغةِ الفصيحة

٢- الكروان: -أبو محمد القاسم بن أحمد الرّسي، -من الوافر- ٤٨:

إذا الكروانُ صاحَ على الرمالِ

وحلّ البدرُ في بُرج الجمالِ

٣-الحمامة: -أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، - من البسيط- ٤٩:

ونائحٍ في غصون السّدرِ أرقني

وما عنيتُ بشيء ظلّ يعنيه

٤-الغراب: -يحيى بن زكريا بن شماس، -من الكامل-:

نعبَ الغرابُ بينهم فتحملوا

ونأى المحلَ بها فكيفَ تُزارُ

٥-الديك: -السّري الرّفاء، -من الكامل- ٥٠:

كشفَ الصباحُ قناعهُ فتألقا

وسطا على الليلِ البهيمِ فأطرقا

ج/ الحشرات:

١- البراغيث: - السّري الرّفاء، -من الرجز- ٥١:

وليلةٍ من نقماتِ الدّهرِ قطعتُها

نزرَ الكرى والصبرِ

مكلّم الظهرِ جريحَ الصدرِ

مقسماً بين أعادٍ خُزرِ

٢-الزنبور: -أبو الحسن السلامي، - من الطويل- ٥٢:

ولابسِ لونٍ واحدٍ وهو طائرُ

ملوّنةٌ أبرادهُ وهو واقعُ

د/ النباتات:

١-الرّوض: -أبو الفتح البكتمري (ابن الكاتب الشامي)، -من الرجز- ٥٣:

وروضةٍ راضيةٍ عن الّديمْ
وطئتُها بناظري دون القدمْ

٢-الباقلاء: -الثغري الكاتب،-من الوافر- ٥٤:

فصوصُ زبرجدٍ في غُلف دُرٍ
بأقماعٍ حكتْ تقليمَ ظُفرِ

٣-الورد وأنواعه: -كشاجم(ت ٣٦٠هـ)، -من المنسرح- ٥٥:

وردٌ جنيّ القطاف أحمرَ قد
ذرتْ عليه الأكفّ كافورا

-أبو الحسن السلامي، في وصف الجلّنار،- من الوافر- ٥٦:

وأشجارٍ محمّلةٍ كؤوساً
تضاحكُ في احمرارٍ واخضرارِ

٤-الفواكه: -أبو الحسن المشوق الشامي، في المشمش،-من الرجز- ٥٧:

أما ترى المشمشَ يا خلّ الأدبْ
مشطباً أكرمَ بهاتيكَ الشّطُبْ

-أحمد بن محمد بن عبد ربه، في وصف التفاح،-من المديد -٥٨:

أيّ تفاحٍ ورمّانٍ
نجتني من خوطِ ريحانِ

نتائج البحث:

لقد سطّرَ الثعالبي كتابهُ(يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر) بعنايةٍ ودراية ووعيّ، واختار منهجهُ المميّز في وضع اساس صلبٍ لتراجمَ وأشعار أهل عصرهِ، فكانَ ببلوغرافياً وناقداً وأديباً ولغوياً، فضلاً عن كونهِ مؤرخاً لعصرٍ يمتدّ بامتداد القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، وقد درسَ الباحثون والأكاديميون هذا الكتابَ المهم، كلّ حسب تخصصهِ وبمختلف المشارب والاتجاهات الكلاسية والحداثوية، والدراسات البنيوية، واليوم لعلّي أكشفُ جديداً في هذا الكتاب المهم الذي يحوي كنوزاً معرفية لعصرٍ مهم في التاريخ العربي الإسلامي . فمن نتائج البحث:

١- أثر البيئة في أشعار وقرائح شعراء كتاب اليتيمة، بوجود السهول والجبال والظواهر الجوية.

٢- أثر البيئة في استخدام الألفاظ حيث نجد ألفاظ شعراء البادية والقريبين من خطط الحجاز والجزيرة تختلفُ عن ألفاظ أقاليم خراسان والجبل وماوراء النهر، بل نجد تغيّر ألفاظ الشاعر الواحد في انتقاله بين الأقاليم (مثل المتنبي والباخرزي..).

٣-ظهور ألفاظ ومفردات ومصطلحات جديدة استخدمها الشعراء نتيجة التطور في كل بيئة، كاستخدام (الشمعة، السفن، المنارة، المدخنة، الشطرنج، الكانون....).

٤-ظهور أغراض شعرية جديدة، بل أن بناء القصيدة الكلاسيكية أخذ بالانزياح نحو التجدد بتأثير البيئة، حيث اصبحت المقدمات للقصائد، وصفاً للطبيعة وللأجواء ثم ذكرَ الغرض الآخر (المدح، الفخر، الغزل....).

٥-ظهور غرض في وصف المدن، وظهور غرض رثاء المدن التي تنطفئ نتيجة الحروب أو الكوارث الطبيعية.

٦-اختلاف الجانب البلاغي في الشعر والنثر، حيث انمازَ في طبيعة العراق والحجاز والشام باستخدام فنون البديع والزخرفة اللفظية، والسجع في النثر (أبان القرن الرابع الهجري) في حين لم يلتزم شعراء الأقاليم الأخرى بهذه الصور البلاغية، فكانت كتاباتهم رقيقة وشفيفة.

٧-تمّ تأليف مصنّفات خاصة بالطبيعة، مثل الورد وألوانه وأنواعه، كتاب (الموشّى)، وكتب في المفاخرة بين الورد والنرجس (ابن أبي طاهر).

٨-تأثرَ الشعر (في القرن الرابع الهجري) بأنواع اللهو والألعاب كالشطرنج والنّرد.

٩-ظهور غرض جديد في الشعر وهو غرض الصّيد والطرديات، وفيها وصف لمبارزة الوزراء والأمراء والقادة للوحوش والطيور.

١٠- اختلاف الأفكار والقيم بين أقليم وآخر مما ينعكس في شعر الشعراء، فنظرة شعراء البادية والجزيرة للمطر، تختلفُ عن شعراء اقليم خراسان والجبل وغيرها، حيث بلاد فارس الينابيع والعيون فهم لا يرغبون بالمطر، في حين يفرح ويبتهج أهل البادية ويعتبرونه حدثاً مهماً.

١١-ماينتج عن شعراء وكتّاب البادية يصدرُ عن عقول مجرّبة، وماينتجُ من شعر ونثر في اقليم خراسان والجبل وجرجان هو نتاج عقول مثقفة. ففي اقليم خراسان وفارس وجرجان وماوراء النهر يستخدمُ الشعراء والكُتّابُ الألقاب الفخمة والألفاظ المفخمة في مقدمات مكاتباتهم ورسائلهم وخواتيمها.

وهكذا نجد الطبيعةَ يعانقها الشعراء تارةً وتشكل مصدر الهامهم وقوافيهم وموسيقى حروفهم، فتصدح قصائدُهم مع الطيور، وتتلون مع ألوان الورد والزهر، وأخرى تتحوّل القائد رعداً وبرقاً وحروب،

ولكنهها كلها تتوحّدُ تحت خيمة الثعالبي ليرسمَ خارطةً جديدةً تشرقُ فيها شمسٌ لا تغيب في دولة الإسلام.
الحالم بإقليم يمتدُ من المشرق الى المغرب

الهوامش:

١الجادر، الثعالبي ناقداً : ٩٣-٩٤.

٢ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/ ٢٤٣؛ -حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/ ٢٠٤٩. ٣الحموي، معجم الأدباء: ١/ ٣٢٥٣

٤ابن منظور، لسان العرب: ١٢/ ٤٩١.

٥المقدسي، أحسن التقاسيم.

٦الحنبلي، الأحكام السلطانية.

٧الأبشيهي، المستطرف.

٨المجلسي، البحار.

٩لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٣٩.

١٠مختار الصحاح، الجوهري: ١/ ٣٧.

١١القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١/ ٩.

١٢تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٤٧.

١٣اليتيمة، الثعالبي: ١/ ٤٤.

١٤اليتيمة، الثعالبي: ٢/ ٣٦٩.

١٥اليتيمة، الثعالبي: ٢/ ٣٣٨.

١٦اليتيمة، الثعالبي: ١/ ٧٢.

١٧المصدر نفسه: ٢/ ٤١٨.

١٨المصدر نفسه: ٣/ ٢٦٥.

١٩المصدر نفسه: ١/ ١٠٤.

٢٠المصدر نفسه: ١/ ٢٤٧.

٢١المصدر نفسه:١/ ٢٥٠.

٢٢المصدر نفسه: ١/ ٢٩١.

٢٣المصدر نفسه: ١/ ٧٢.

٢٤المصدر نفسه: ١/ ١٣٨.

٢٥ المصدر نفسه: ١/ ١٨٥.

٢٦المصدر نفسه: ١/ ٢٦٥.

٢٧المصدر نفسه: ٣/ ٤٠٩.

٢٨المصدر نفسه: ١/ ٤٢٦.

٢٩المصدر نفسه: ١/ ٢٤٧.

٣٠المصدر نفسه: ٢/ ١٣٢.

٣١المصدر نفسه: ٤/ ٢٤٤.

٣٢المصدر نفسه: ٤/ ٥٦.

٣٣المصدر نفسه: ٢/ ١٨٣.
٣٤المصدر نفسه: ٢/ ١٩٦.
٣٥المصدر نفسه: ٢/ ١٨٠.
٣٦المصدر نفسه: ٢/ ١٧٩.
٣٧المصدر نفسه: ٣/ ١٧٢.
٣٨المصدر نفسه: ١/ ٤٣٦.
٣٩المصدر نفسه: ٢/ ٦٠.
٤٠المصدر نفسه: ١/ ٤١٠.
٤١المصدر نفسه: ١/ ٤٢٥.
٤٢المصدر نفسه: ٢/ ٢٦٧.
٤٣اليتيمة، الثعالبي: ١/ ١٠.
٤٤المصدر نفسه: ٢/ ٤٤.
٤٥المصدر نفسه: ١/٤٠٤.
٤٦المصدر نفسه: ٢/ ٣٩٣.
٤٧المصدر نفسه: ١/ ٢٦٩.
٤٨المصدر نفسه: ١/ ٤٣٠.
٤٩المصدر نفسه: ٢/٩.
٥٠المصدر نفسه: ٢/ ١٧٩.
٥١المصدر نفسه: ١/ ١٧٩.
٥٢المصدر نفسه: ٢/ ٤٢٠.
٥٣المصدر نفسه: ١/ ١٢٠.
٥٤المصدر نفسه: ٢/ ٣٧٦.
٥٥المصدر نفسه: ١/ ٤٧.
٥٦المصدر نفسه: ٢/ ٤٠٩.
٥٧المصدر نفسه:٢/ ٨٤.
٥٨المصدر نفسه: ٢/ ٨٤.

المصادر والمراجع

× القرآن الكريم.

-ابن ابي اصيبعة(ت٦٦٨ه)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر-بيروت، ١٩٥٦م.

-ابن الأثير(ت٦٣٠ه)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

-ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بغداد، ١٩٨٦.

-ابن الجوزي (ت٥٩٧ه)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر-بيروت، ط١، ١٣٥٨ه.

-ابن منظور(ت٧١١ه)، لسان العرب، دار صادر-بيروت.

-الأبشيهي(ت ٨٥٠ه)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

-الباخرزي(ت٤٦٧ه)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة دار العروبة-الكويت، ١٩٨٥م.

-الثعالبي(ت ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، ١٩٥٦م.

-الجادر، محمد عبد الله، الثعالبي ناقداً وأديباً، دار الرسالة للطباعة-بغداد، ط١، ١٩٧٦م.

-حاجي خليفة(ت ١٠٦٧ه)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م.

-الحنبلي(ت٤٥٨ه)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

-شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٥م.

-الطاهر، علي جواد، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٨م.

-المجلسي(ت ١١١١ه)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء-بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.